# النظام الأمومي بين النقوش الحسائية [الثاجية] والنقوش النبطية

هتون أجواد الفاسي

**ملخّص:** منذ اكتشاف عدد من الكتابات الحسائية القبورية، في الأحساء في منتصف الثمانينيات والمليحة في الإمارات في التسعينيات، تحمل أسماء نساء مع حفظ للنسب الأمومي، تثير هذه القضية العديد من التساؤلات، حول حقيقة التزام عرب شرقي الجزيرة بهذا النظام الاجتماعي ودلالاته. ونظراً لتكرار ظهور النسب الأمومي في عدد من الكتابات في الجزيرة العربية في كل أنحائها، وفي شماليها على وجه التحديد، وارتباط ذلك بعدد من النظريات الاجتماعية، فقد وجدت الباحثة أنه من المهم القيام بدراسة حول الدلالات الأمومية، في مجتمع شرقي الجزيرة، ومجتمعات المناطق الأخرى القريبة منه، وتحليل مؤشرات هذه الاستخدامات. تنتهي هذه الدراسة إلى أن هناك ارتباطا كان قائماً بين استخدام الانتساب الأمومي في مجتمع شرقي الجزيرة وبين وظيفة الكاهنة، الذي يمكن أن ينسحب كذلك على مجتمع الأنباط. فما هي قصة هذه الكتابات؟ ومن هن النساء اللاتي تحمل أسماؤهن؟ وما علاقتهن الاجتماعية ببعضهن بعضاً، وبمجتمع شرقي الجزيرة من ناحية أخرى؟ وهل هناك أي تشابه بينهن وبين نساء مجتمع غربي الجزيرة العربية؟ هذه بعض التساؤلات المبدئية لهذه الورقة التي تحاول الإجابة عليها.

***Abstract:*** *Ever since a number of grave inscriptions were discovered in the region of Ahsa (Thâj— eastern Saudi Arabia) in the middle of the 1980s and in Mulaiha (UAE) in the 1990s, the importance of the maternal lineage has attracted interest. This paper focuses on and compares with neighboring others the significations of females' preserved maternal lineage for the eastern people of the Arabian Peninsula. The paper finds a close relation between the preservation of the female lineage and her religious function as a priestess. This is also true for Nabataean females whose lineage was preserved.*

## الدراسات السابقة

لقد تناولت عدد من الدراسات موضوع النقوش الحسائية، من جهة، وموضوع آثار الأحساء ولاسيما ثاج، من جهة أخرى؛ كما تناولت كثير من الدراسات الأنباط بالدراسة. وجزء مما كتب في بداية القرن العشرين عن ثاج كانت كتابات هواة أو ملاحظات سطحية لزوار أو منقبي شركة البترول السعودية الأمريكية أرامكو (Cornwall, 1946 ; H.R.P and Dickson 1948). فكتبت كتابات متفرقة مبنية على الملتقطات السطحية والنقوش المنقولة. وتناولها عدد من كبار علماء الكتابات بالتحليل والقراءة والربط بكتابات جنوبي الجزيرة العربية. ومن أوائل من كتب عن ثاج ونقوشها علمياً كان وينيت عام ١٩٤٦م (Winnett) وبعدها بعشرين عاماً عاد الاهتمام إلى شرقي الجزيرة، فنشر عن ثاج في عام واحد كل من ج.ماندافيل عام ١٩٦٣ في مجلة المعهد الأمريكي للدراسات الشرقية بعد أن زار الموقع وتوقع أنه يحمل سراً أثرياً مهماً (Mandaville 1963) ووالتر مولر (Muller, 1963)، وبعد ذلك بعشر سنوات نشر بيبي Bibby كتابه حول دلمون Looking for Dilmun والذي سجل فيه نظريته التي تربط ما بين دلمون التاريخية وآثار البحرين وشرقي الجزيرة، ومنها ثاج، التي كانت دُماها المثيرة للجدل أخذت في الظهور (Bibby 1969). وقام جام Jamme بجمع ما نشر حتى آنذاك حول نقوش شرقي الجزيرة السبئية والحسائية عام ١٩٦٦م، ومضى ينشر كل ما يكتشف حولها سنة بعد أخرى، في متابعة للنقوش الحسائية (Jamme 1967, 69, 70). وعلى مستوى التنقيب والمسح الأثري، فقد قامت البعثة الدانمركية أثناء تنقيبها


(ص ص ٣٥-٥٠) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

في فيلكة بالكويت بمسح الفاو أيضاً عام ١٩٧٣، وبعد ذلك أخذت الوكالة العامة للآثار والمتاحف بإجراء عدد من المسوحات الاستطلاعية الأولية، منذ عدد أطلال الأول والثاني عامي ١٩٧٧، ١٩٧٨. ثم تناول بيستون واحداً من نقوش الأحساء الضريحية بالدراسة عام ١٩٧٩ (Beeston)، تلته بعد بضع سنوات نايجل جروم في دراستها حول الجرهاء، المدينة المفقودة، في أطلال (Groom 19826)، وفي العدد التالي كتب دانيل بوتس حول ثاج، إثر تنقيبات جديدة فيها؛ ملخصاً الدراسات السابقة والمكتشفات الحديثة (Potts 1983). أما المصدر الرئيس في موضوع النقوش، فهو عدد أطلال الثامن الصادر في عام ١٩٨٤، وهو الذي حمل مجموع النقوش الحسائية المعروفة حتى ذلك التاريخ، إضافة إلى التقرير الدوري حول التنقيبات في ثاج (قزدر وآخرون). وحمل العدد التاسع من عام ١٩٨٥ (أسكوبي وآخرون) المزيد من التنقيب في ثاج والعثور على المزيد من الدمى والعملة والأواني الفخارية.

وفي عام ١٩٨٦ نشر جاك ريكمانز بحثه المهم في المقارنة بين نقشين أمويين، أحدهما حسائي والآخر نبطي، عبر ثلاثة أجيال، في مؤتمر البحرين عبر العصور. وتلاه دراسة متخصصة في الأشكال الفنية الفخارية في ثاج لسيد أنيس هاشم، الصادرة من إدارة الآثار والمتاحف العامة عام ١٤١٢. وقام عوض علي الزهراني عام ١٤١٦/١٩٩٦ بإكمال دراسته حول «ثاج، دراسة أثرية ميدانية»، والتي قام من أجلها بالتنقيب في ثاج وخرج بالكثير من النتائج المهمة، واستخرج المزيد من الدمى الفخارية. وتأتي دراسة الأنصاري عام ٢٠٠٢ لتعيد الحياة إلى موضوع الجرهاء وربطها بمدينة لم تخطر ببال الباحثين السابقين، وهي الفاو، قرية ذو كهل. ثم استمرت التنقيبات الدورية في ثاج من قبل إدارة الآثار والمتاحف التي تنشر تباعاً وبشكل متفرق في دورية أطلال. ففي عام ٢٠٠٥ نشر في العدد ١٨ والذي حمل تقرير تنقيب عام ٢٠٠١ (الحشاش وآخرون ٢٠٠٥)، وفي عام ٢٠٠٦ نشر تقرير موسم ٢٠٠٢ (الحشاش وآخرون ٢٠٠٦).

أما بالنسبة للأنباط، فإن جُلَّ ما نُشر بخصوص نقوشهم الأمومية، أو وضع المرأة النبطية، فقد نشرته الباحثة في دراسات متعددة، منها رسالة الدكتوراه حول المرأة النبطية العام ٢٠٠٠، وبحث حول الحضانة والانتساب في الحِجر العام ٢٠٠٢، وملكات الأنباط في العام ٢٠٠٧، يتناول الانتساب الأمومي في الأسرة المالكة، وفصل في كتاب تكريم جون هيلي، حول الكاهنة النبطية في العام ٢٠١٢. وتعد دراسة جاك ريكمانز حول ثلاثة أجيال من النسب الأمومي بين نقش حسائي ونقش نبطي في العام ١٩٨٦، التي أشرت إليها سابقاً، محورية في موضوع الصلة بين الحضارتين، اللتين كانتا متعاصرتين كذلك.

## الزمان والمكان

الفترة الزمنية التي تتناولها هذه النقوش، هي القرون التي سبقت الإسلام بنحو تسعة قرون، وسبقت مولد المسيح بثلاثة قرون، والتي عرفت فيها شرقي الجزيرة عدداً من الممالك المحلية التي ازدهرت على ضفاف البحر المر، مُخلِفة مملكة دلمون التي عرفها ساحل شرقي الجزيرة العربية على مدى أكثر من ألفي عام، وهي تتوسط العالم القديم وتجارته بين وادي السند/ملوخا/ موهنجوداروورحارابا، من جهة، وبلاد وادي الرافدين، سومر وبابل، من جهة أخرى، متاجرة بالتوابل واللبان والعطور واللؤلؤ والأخشاب والأحجار الكريمة والعاج والتمور والقطن والنسيج والفضة والنحاس والحبوب والجلود والمواشي والزيوت وغيرها (انظر البدر ١٩٧٤، ١٩٧٨).

يرتبط تاريخ الحسائيين، نسبة إلى واحة الأحساء، أكبر واحات الجزيرة، إن لم تكن أكبر واحات العالم، بتاريخ الاستيطان في شرق الجزيرة وتاريخ ممالكها وسكانها الذي يمتد إلى آلاف السنين، والذي لم يكن بعيداً عن ذكرى التاريخ والعلاقة الأسطورية بين دلمون وسومر، التي كانت تتخذ من دلمون أرضاً مقدسة، وأرضاً تمثل جنة عدن على الأرض (أساطير إنكيوننخورساغ ونهاية العالم، والطوفان وإنكي ونظام العالم الجديد) والتي تعود إلى ما قبل خمسة آلاف سنة مضت. ومن المعروف أن تاريخ شرقي الجزيرة في فترة القرون الثلاثة قبل الحقبة المعاصرة والتي تليها هو تاريخ غير محدد المعالم، لاسيما إن كنا نتحدث عن مواقع بعينها عثر فيها على عملات وفخار ونقوش ومقابر مثل ثاجوتاروت وغيرها. فيحاول الآثاريون والمؤرخون بكل وسيلة

إعادة بناء تاريخ المنطقة، ولكن الصورة ما تزال هلامية. فنحن نعرف عن وجود عدد من الملوك الذين حكموا مدينة «هجر» التي لم يعرف موقعها على وجه التحديد بعد وما إذا كانت هي واحة الأحساء، أو إحدى قراها، ونعرف عن مملكة «الجرهاء» المهمة، ذات النفوذ التجاري والسياسي على الساحل، لكن موقعها ما يزال كذلك محلّ تكهنات، على الرغم من الاكتشافات الحديثة والتي يمكن أن توضح الصورة بعض الشيء.

فتبرز في هذه الأنحاء ما يمكن أن يُطلق عليها دويلات مدن أو ممالك صغيرة تتسع وتضيق، على امتداد الساحل الغربي للخليج، تبدأ بميسان (خاراكس)[١] في أقصى الشمال مروراً بفيلكة ثم الجرهاء، المدينة الغامضة والتي تؤرخ بالقرن الرابع قبل الفترة المعاصرة، والتي طال الجدل حول موقعها، فيما إذا كانت ثاج، أو العقير، أو الهفوف (Groom, 1982, 97) أو قرية الفاو (Al-Ansari 2002: 7-17)، أو مناجم الملح (Lombard, 1988)، أو النظرية الحديثة التي تبدو راجحة، أنها في موقع «الدفي» الساحلي شمال الجبيل[٢] (٢٧:١٠:١٥) على (٤٩:٣٢:٢٠) موسوعة أسماء الأماكن، ١٤٢٤، ٢:٦٨٨ . وانتهاء بعمانا أو صحار أو ماكا أو ماكاي[٣] في شبه جزيرة عمان والتي تنتمي إليها مدينتا مليحة (بن صراي ١٩٩٤: ٥٨، ٦٠ ؛ Bin Seray, 1993) والدور (Potts, 1988: 155).

## الجرهاء

أما الجرهاء، فقد ازدهرت في العصر المتأغرق وبلغ من ثرائها أن الجغرافي الإسكندري سترابو ذكر أن «الجرهائيين والسبئيين هم أثرى شعوب العالم. وأطنب في تفصيل ذلك معتمداً على مؤرخ أبكر منه قليلاً هو أرتميدورو سالإفسوسي (حوالي ١٠٠ ق.ح.م) فتحدث عن بيوتهم الملبسة بالعاج والذهب والفضة والمرصعة بالأحجار الثمينة، وأدواتهم اليومية الثمينة من مقاعد وثيرة وطاولات ثلاثية الأثافي (Strabo 16.4.19). ويطلق عليها سترابو مسمى «مدينة»، وتبعد ٢٤٠٠ ستاديا عن رأس الخليج، وهو ما يعادل (٤٢٦٢٤) ألف كم، ويسكنها الكلدانيون، وفق سترابو، الذين هاجروا إليها من بابل. وكانت تربتها مالحة لدرجة أن سكانها يبنون بيوتهم من الملح ويرشونها بالماء لتصبح متماسكة وتقاوم حرارة الشمس (Strabo 16.3.2–4). وهذه ظاهرة ممتدة حتى اليوم إن كانت منطقة الجرهاء تقوم في أنحاء مدينة ثاج الحديثة التي يعد الملح أحد أهم معالم تكوينها الجيولوجي، وما يبدو أنه كان مصدراً لتجارة وصناعة مهمة، استمر حتى العصر الحديث، فعرف أن أهل هجرة ثاج من العوازم كانوا يستغلون السبخة في فصل الصيف في تجميع الملح لاستخدامه المحلي وتصديره أيضاً (الحشاش وآخرون ٢٠٠٥: ٤٠).

وعن تجارتهم، يقول سترابو: «إن الجرهائيين يسافرون في البر في معظم الأحيان، ويتاجرون بالتجارة العربية والطيوب» (Strabo 16.3.3). وكانت قوافلهم تصل إلى جنوبي الجزيرة وتستغرق أربعين يوماً فقط لتصل إلى حضرموت (Strabo 16.4.4). ومن الملفت للنظر في هذا الشأن، اكتشاف أعداد لا حصر لها من المجامر الصغيرة بأشكال مختلفة، في تنقيبات المقابر الثاجية ومقابر شرقي الجزيرة بشكل عام.

وقد أثارت شهرة الجرهاء أطماع الإغريق السلوقيين، فحاولوا إخضاعها أكثر من مرة، من دون جدوى، وقبلوا أخيراً في غزوة للملك أنطيوخوس الثالث عليهم في سنة ٢٠٥ ق.ح.م أن يشتري الجرهائيون حريتهم وحرية عبادتهم وضمان السلام في خطاب بعثوه إليه مع مبلغ كبير من المال والبخور واللبان[٤]، مما يشير إلى مكانتهم الاقتصادية والسياسية النافذة، ويشير إلى تقديرهم لقيم الاستقلال والحرية العالية. وكان لموقعها في وسط الخليج دور كبير في الوصل بين التجارة البحرية والبرية الآتية من وسط الجزيرة بكل سلع البر والبحر (Groom 1982: 100.).

وهكذا، كانت ممالك عمانا– الجرهاء– ميسان، الثلاثة، أو دويلات المدن، تسيطر وتنظم تجارة الخليج فيما بينها، ما بين تعاون وتنافس (الفاسي، ٢٠٠٥: ١٥٦–١٥٧).

## المدن الحسائية، ثاج

وفي المقابل، لدينا عدد من المواقع لمدن لا يرد ذكرها في النصوص التاريخية المتقدمة، وتقدم مادة آثارية مهمة. وتمتد هذه المدن إلى جنوبي الخليج وشماليه، مثل: ثاج، وعين جاوانوتاروت، والهفوف، والعقير، وإلى الدور، ومليحة،

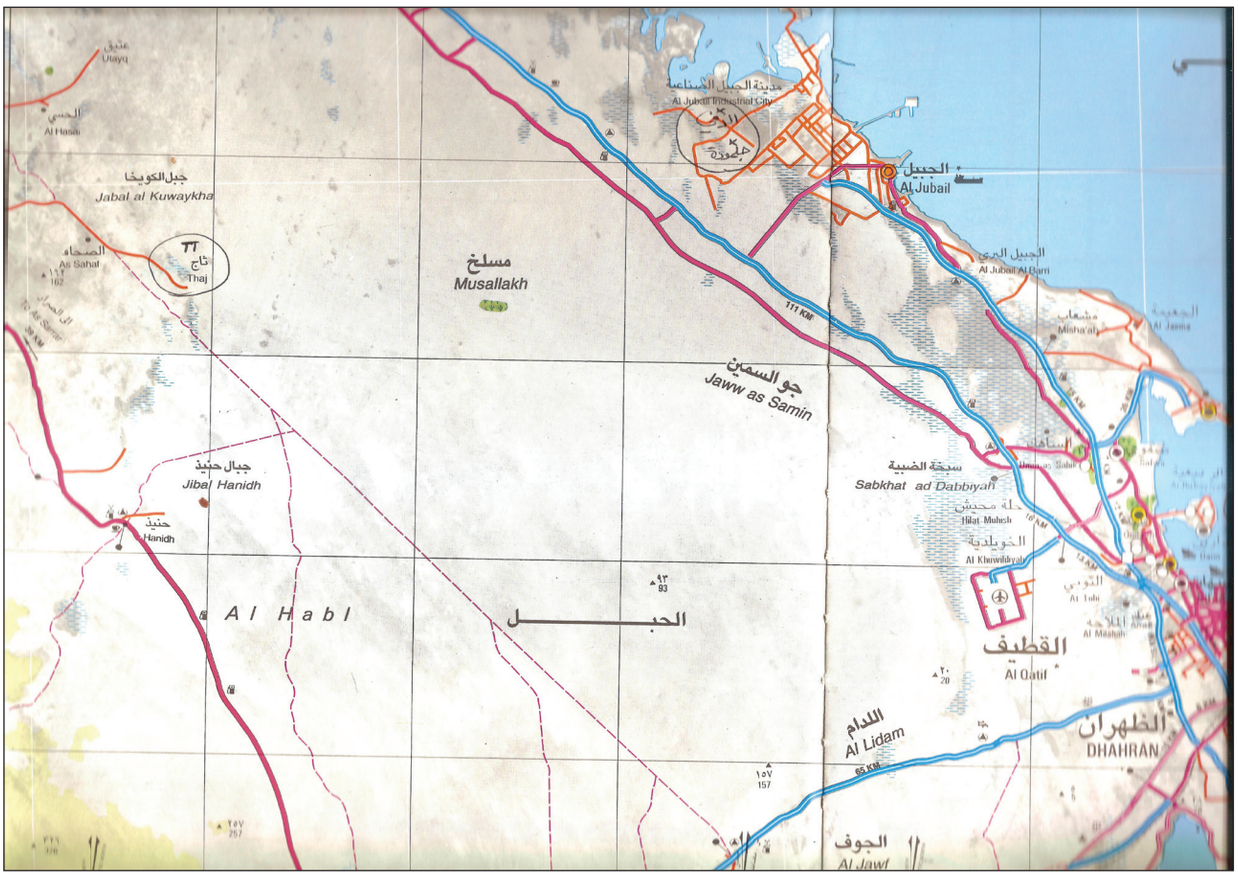


**الخريطة ١: شرقي الجزيرة العربية.**

وغيرها، التي من الواضح أنها كانت تمثل نوعاً من الوحدة الثقافية، التي تتضح في اللغة والكتابة والديانة والفنون، وعلى الأرجح، في الأصول السكانية أيضاً، ولعل أهمها فيما يتعلق بموضوعنا هي ثاج، التي تعد مركز الاستيطان الرئيس وأكبر موقع[٥] لمدينة مسوّرة في شرقي الجزيرة مساحةً، في الفترة الزمنية من القرن الثالث ق.ح.م وحتى الثالث ح.م؛ إذ يبلغ أربعمائة ألف متر مربع (Boucharlat and Salles 1981, 78 ; Potts Gulf؛ الزهراني، ١٩٩٦: ٤٥٤٣-٤٤) والذي ينافسه أو يكمله حالياً موقع الدفي إلى الشمال الشرقي من ثاج (الخريطة ١).

وقد جاء ذكر ثاج في بعض مصادر التراث العربي اللغوية، فتذكر معنى الموقع الذي يتصل بالماء الثجاج، أي السائل، و«ثاج» الماء أي سال (لسان العرب ٢:٢٢١)؛ ما يشير إلى وفرة في المياه أسهمت في جعل هذا الموقع مأهولاً وقِبلة للمستقرين. وتتفق كتب اللغة والجغرافيا على أن ثاج من قرى البحرين وأعراض البحرين (لسان العرب ٢: ٢٢٣؛ معجم البلدان ٢: ٧٠)، والتي كانت تعني منطقة شرقي الجزيرة بما فيها الجزيرة المعروفة اليوم بالبحرين. وعرفت قبل الإسلام بأن بها حصناً أو مجدلاً بناه الشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري (انظر المفضليات ١:٣٠٧)، وفي القرن الهجري الأول، لجأ إليها أحد أشراف البصرة ممن تعاون مع عبدالملك بن مروان على مصعب بن الزبير ويدعى «مالك بن مسمع بن شهاب» (أنساب الأشراف البلاذري: ٧٤٥).

ما يعنينا هنا هو النظر في التركيبة الاجتماعية لهذه المنطقة التي لا شك أنها كانت على اتصال مع مناطق الجزيرة العربية الأخرى، من خلال التجارة وطرقها التي تمر في جميع الأطراف، كأحد النشاطات التي يمارسها سكان المنطقة براً وبحراً. والأسئلة تدور حول: مَن هم أهل المنطقة؟ أيَ لغة يتحدثون؟ ماذا يعبدون؟ كيف يكتبون؟

بماذا يتاجرون؟ أو ماذا يزرعون أو يصيدون؟ كيف هي علاقة أفراد المجتمع مع بعضهم بعضا، بشكل عام، وعلاقة رجالهم بنسائهم بشكل خاص؟ لا شك أن هذه أسئلة من الصعب الإجابة عنها، لاسيما إن كنا نتحدث عن ألفين وثلاثمائة سنة مضت، لكن ما تسعى هذه الورقة لجلائه هي زاوية محددة تتعلق بنظامهم الاجتماعي الذي ظهر من خلال كتاباتهم، وهذا ما سوف يقودني إلى الحديث عن الكتابات والنقوش الحسائية.

## النقوش الحسائية

هي مجموعة من النقوش التي اصطلح المستشرقون على تسميتها بـ «الخط الحسائي»، نظراً للعثور على غالبية هذه الكتابات في واحة الأحساء ومن حولها، وفي مواقع على امتداد شرقي الجزيرة العربية، وقد كتبت بخط متطور من المسند، بخصائص مختلفة بعض الشيء عن لغة المسند، مثل استخدام أداة التعريف هن؛ ولا تتعدى هذه النقوش الخمسين نقشاً، غالبيتها من موقع مدينة ثاج، شمال شرقي الهفوف. وكان بارون باون Baron Bowen عام ١٩٥٠ أول من أطلق عليها هذه التسمية، وتبناها ألبرت جام منذ دراسته حول النقوش الحسائية والسبئية عام ١٩٦٦ (انظر الدراسة التفصيلية لدى بوتس Potts، ١٩٨٣: ٨٩). وقد جُمعت النقوش الخمسين في ملحق عدد أطلال الثامن ١٤٠٤/١٩٨٤. ونقشت هذه الكتابات على شواهد قبور، فخار، عملات وغيرها. وقد سجل في ثاج خمسة عشر شاهد قبر، وثمانية نقوش أخرى غير قبورية، كلها من مدينة ثاج؛ ومن خارج ثاج جمعت البقية، لكنها تتوزع بين: الوركاء، والحناة، ورأس تنورة، وأبقيق، والقطيف، وعين جوان.

أربعة عشر نقشاً من الخمسين كانت نقوشاً ضريحية لنساء، وثلاثة منها تحمل نسباً أمومياً مميزاً. النص الأول شاهد قبر، ذكرت وكالة الآثار والمتاحف خبر اكتشافه في عدد أطلال ٦ عام ١٤٠٢/١٩٨٢ في أخبار متفرقة عن طريق شخص (لم يذكر أين عثر عليه) أوصله إلى إدارة الآثار ويرجح أنه من ثاج، وقرئ كالآتي:

نقش ١ (اللوحة ١)

وج ر/وق ب

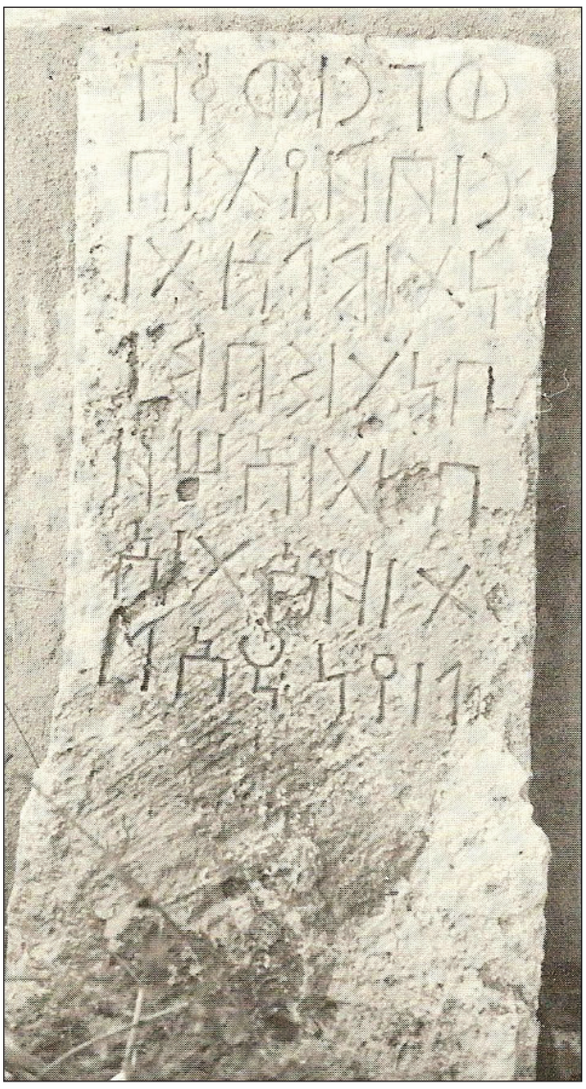

اللوحة ١، نقش أمومي (١)

ر/غ ذ ب ت/ب

ن ت/م ل ك ت/

ب ن ت/ش ب م/

ب ن ت / أ ح ذ

ت/ ذ ا ت/ أ

ل/ ي ن خ ا ل

شاهد وقبر

غذبت،

بنت ملكت،

بنت شبم،

بنت أحذت

من آل (أو أهل أو قبيلة)

ينخال

(أطلال ١٩٨٢/ ٦: ١٣٨) وهو الذي كتب J.Ryckmans مقالة طويلة حوله قدمها في مؤتمر البحرين عبر العصور عام ١٩٨٦. ويتميز هذا النقش بأن النسب الأمومي فيه يصل إلى ثالث جيل (م/م/م/م/ق). وهو الأطول في النقوش الأمومية التي عثر عليها في الجزيرة العربية حتى تاريخه؛ (م تعني اسم، وق تعني القبيلة).

نقش ١ مكرر

في عدد أطلال ٨ يأتي النقش الأول بقراءة مختلفة بعض الشيء:

و ج ر/ وق ب

ر/ ق د ي ت/ ب

ن ت/ م ل ك ت/

ب ن ت/ ش ب م/

ب ن ت/ أ هـ ي

ت/ ذ أ ت/ أ

ل / ي ن هـ أ ل

شاهد وقبر

قدية

بنت ملكة

بنت شبم

بنت أهيت

من آل (أو أهل أو قبيلة)

ينوهـ-إيل

(قزدر وآخرون، أطلال ١٩٨٤: ٨٨، نقش ١٦)

نقش ٢

كما عثر على نقشين آخرين ينتسبان أمومياً، ويرتفع النقش الثاني إلى ثاني جيل. (م/م/م/ق) وهو من ثاج أو الحناة. وينص كالآتي:

وج ر/ وق ب

ر/ ك ر ل ي/ ب ن

ت/ ج ر ت/ ب ن ت

.. وث / ذ أ ت

(أل ..) ع

وجر وقبر

كرلي بنت

جرت بنت

.. من آل (أو أهل أو قبيلة)

..

(أطلال ٨: ١٩٨٣، نقش ٤ من خارج ثاج، ص ٩١)

نقش ٣ (اللوحة ٣)

عثر عليه في ابقيق (شرقي الجزيرة) ويُقرأ كالآتي:

و ج ر/ وق ب

ر/. د م / ب ن/

../ ب ن ت / هـ

... / ذ آ

ل..

وجر وقبر

[..].دم ابن

[..] بنت

[..] هو من

آل [..]

(قزدر وآخرون، ١٩٨٤: ص ٩١، نقش رقم ٧ من خارج ثاج). وكما نرى فهذا الشاهد لرجل لكنه ينتسب إلى أمه.

اللوحة ٢، نقش حسائي بالقرب من أبقيق

فما هي دلالات هذه النقوش الثلاثة؟ نحاول الإجابة عن ذلك فيما بعد، وننتقل إلى تناول بعض المظاهر الحضارية التي نرى صلتها بالنقشين السابقين.

## بعض المظاهر الحضارية، فن واعتقاد

### الدمى

من المظاهر الحضارية التي تصل ما بين الفن والاعتقاد، صناعة الدمى. وقد عُثر على الدمى - لاسيما الصلصالية من التراكوتا - في ثاج وخارجها، وفيما يلي نحاول أن نفهم ما وراء هذه الفنون.

### في ثاج

لقد أجري في ثاج ما يربو على عشرة مواسم تنقيب، فضلاً عن المسوحات الأثرية السريعة والخاطفة منذ بداية القرن العشرين، وكان القاسم المشترك في كل هذه المواسم وأخبار المسوحات والزيارات، العثور على قطع كاملة أو أجزاء من دمى فخارية terracotta figurines لنساء متجردات. ونلاحظ هذه السمات في معبودات الخصب في العالم القديم. وقد زينت تلك الدمى بوضع حلية حول الرقبة أو أحزمة تلتف حول الخصر، ونادراً ما عثر على دمية لرجل. كما عثر على عدد كبير من دمى الجمال الفخارية، وعلى مجامر بخور مربعة صغيرة، تتشابه جميعاً في نوع مادة الطين المستخدمة في الصناعة. (صورة لدمى نساء) (اللوحة ٣). ففي موسم تنقيب واحد عثر على عشرين دمية صغيرة، كلها لإناث في وضع القرفصاء، ومن المراحل التاريخية المتأخرة الرابعة والخامسة. ويعد الأنف العالي سمة مألوفة في هذه الدمى، والعيون أحياناً مائلة، وأحياناً أكثر تدويراً، وفي بعض الأمثلة تنحني اليدان لكي تسند الثديين في نموذج يمثل المعبودة الأم. (الزهراني ١٤١٦/١٩٩٦: ٤٥، ٩٦-٩٩) (اللوحة ٤).

### دمى من خارج ثاج

وقد عثر على أمثلة من بعض المواقع في الجزيرة مشابهة لبعض هذه الدمى من حيث العجينة أو الشكل أو بعض العناصر الفنية المميزة لها؛ ففي الأخدود بنجران عُثر على أربعة تماثيل نسائية صغيرة صنعت من الفخار، تُؤَرّخ من الفترة الواقعة بين القرن الأول ق.ح.م وحتى سنة ٦٥٠ ح.م.، وعثر في مستوطنة الفاو على دمية مصنوعة من

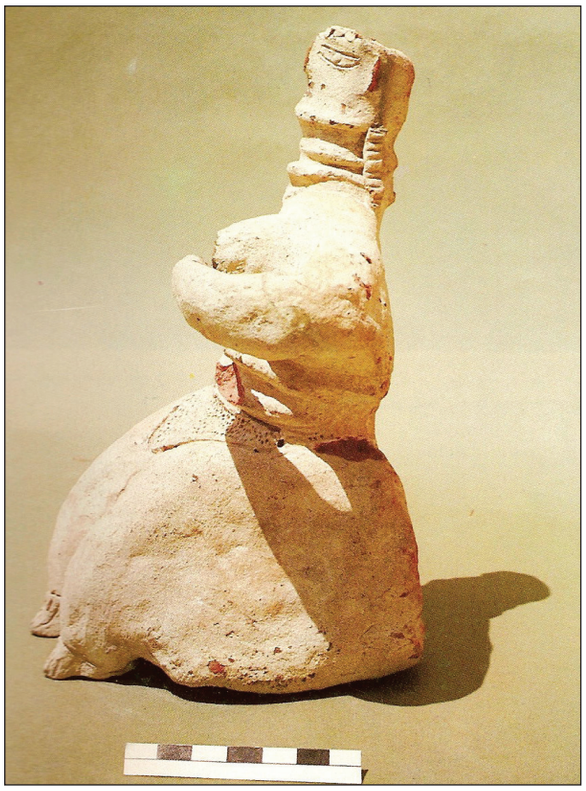

اللوحة ٣: العصر الهلينستي: تمثال الأمومة من الفخار الأحمر من حفرية تاج ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بالمنطقة الشرقية

الفخار مماثلة لبعض دمى ثاج من حيث العجينة والشكل تقريباً، تؤرخ مبدئياً - بمقتضى المعثورات الأخرى- من الفترة ما بين القرن الثاني ق.ح.م والخامس من الحقبة المعاصرة (الزهراني ١٤١٦: ١٣٩-١٤٠).

ومن خلال دراسة لمجموعة من الدمى الفخارية المحفوظة في قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب جامعة الملك سعود، وهي من مواقع غير معروفة في جنوبي الجزيرة العربية، نلاحظ أن مادة الصنع والشكل وبعض العناصر الفنية؛ كالزخارف وتناسق الجسم والغرض الذي صنعت من أجله، تتشابه مع بعض دمى ثاج (المزروع، ١٩٩٣: ٢٨٩-٣١٠). ومن أماكن متفرقة في اليمن، جمعت دمى في متحف كلية آداب جامعة صنعاء، قام كل من ج.ت.ياسين، م.م.الجميلي وعميدة شعلان بدراسة خمسين دمية صلصالية، منها: ٣٩ دمية لإناث و١١ لذكور، وهي تتشابه في خصائصها ورموزها مع دمى المزروع بشكل كبير (Yaseen et al, 1996: 287).

أما المواقع التي عثر فيها على أمثلة مشابهة للدمى الفخارية من ثاج في شرقي الجزيرة، فأهمها ما عثر عليه في موقع رميلة بالإمارات، حيث تم العثور على دمية مصنوعة من الطين المشوي، تمثل رأس إنسان، تؤرخ للعصر الحديدي الدور الثاني بين ٧٠٠-٤٠٠ ق.ح.م (Boucharlat & Loumbarg 1985: 140)، ودمى من فيلكة تؤكد على وجود عقيدة الخصب وعبادة الشمس والقمر في الجزيرة (Yaseen et al, 1996: 301). وفي البحرين عثر على دمى

**اللوحة ٤: دمى من ثاج-٧٤-الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج.**

التراكوتا الأنثوية، ودمى من الجص في الطبقة الخامسة من قلعة البحرين (معراج، ٢٠٠٧، ٤٧-٥٣). وفي «الدفي» في المنطقة الساحلية من الجبيل، عثر على مجموعة كبيرة من دمى التراكوتا الأنثوية، التي كشف عنها في مستوطنة ضخمة نسبياً، نُقب عنها مبدئياً في ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (الهاجري وآل سيف، ١٩٨٩: ٤٣-٤٤). وعاد التوسّع في التنقيب فيها عامي ٢٠١٢-٢٠١٣، وتعمل طالبة الماجستير عويدة بن جبرين في جامعة الملك سعود على إنهاء دراسة مستفيضة قريباً لما يبلغ من مائة وخمسين قطعة من هذه الدمى عثر عليها في الموقع، بعنوان: «الدمى الفخارية في المنطقة الشرقية خلال الألف الأولى ق.م، دراسة فنية حضارية»[٦].

## هوية الدمى

يفرض السؤال حول دور هذه الدمى ودلالتها وهويتها نفسه، وما إذا كانت هناك صلة بينها وبين الكتابات المشار إليها آنفاً. وقد أكد العديد من العلماء على الدور الديني لهذه الدمى؛ إذ يرى بيبي أنها على الأرجح لربّة رئيسة، كانت تُعبد على نطاق واسع في ثاج، وأنه كان لها محراب أو موضع في كل بيت في المدينة، يوضع فيه تمثالها وتمثال جمل ومجمرة لحرق القرابين والبخور لأجل هذه المعبودة (Bibby, 1973: 18)، ورأى أنها استخدمت في مجال الطقوس لغرض الإخصاب البشري أو الزراعي أو تيسير الولادة (أطلال ٨: ٧٢). وتتعدد الإمكانات للدَور الذي يمكن أن تكون هذه الدمى قد لعبته؛ فثمة قول ثالث، أنها ربما كانت تمثل: كاهنات، أو ساحرات، أو دمى لتخويف وإبعاد الغرباء، أو لجلب الحظ أو أنها مجرد دمى أطفال (Russell 266-7).

وترافق هذه المعثورات مع بعضها بعضاً يثير تساؤلات حول مكوّنات هذه الطقوس التي من المحتمل ممارستها في ثاج؛ فعلى سبيل المثال، يشير العدد الكبير في دمى الجمال إلى احتمال دخوله حلقة الطقوس الممارسة لأجل هذه المعبودة، وربما كانت دمى الجمال هذه لمعبود، معبود القوافل على سبيل المثال، وربما كانت لتابع يرتبط بأسطورة ما تجمعهما سوياً. لا نستطيع الإجابة علىً هذه الأسئلة في ظل الأدلة المتاحة في الوقت الحاضر، لكن ما أرجّحه هو أن هذه الدمى كانت تستخدم كتعويذات حماية، لجلب الحظ السعيد للبيوت بشكل عام، وللنساء بشكل خاص؛ وأنها كانت

تلعب دوراً مهماً في عقيدة الربّات الإناث في شرقي الجزيرة العربية، والتي كانت تمارس من قبل كاهنات مختصات بالشؤون النسائية. فمَن هُنَّ هؤلاء الكاهنات؟ نجيب على هذا التساؤل لاحقاً.

**النظام الأمومي** Matrilinearity

أنتقل إلى هذا النظام نظراً للإشارة إليه في صلب العنوان، والذي يحتاج لتوضيح وتعريف. ففي البدء ينبغي التمييز بين نظامين ومفهومين: Matriarchy و Matrilinearity، ومن الصعب بمكان العثور على ترجمة دقيقة تميز بين المفهومين إلا من خلال شرح كل واحد منهما.

إن المقصود بالنظام الأمومي Matriarchy – حسب تفسير علماء الأنثروبولوجيا المحدثين –أنه ذلك النظام الذي تسود فيه سلطة الأم أو المرأة، وله عدد من المظاهر: أولها الانتساب عن طريق الأم لا عن طريق الأب؛ ثانياً: تبعية الرجل لمقر سكنى زوجته وقبيلتها فيما يدعى بـ Matrilocality؛ ثالثاً: امتلاك ممثلي الزوجة من أقاربها من الرجال للسلطة في العائلة، وتمارس على الأطفال كذلك (Maciver& Page 1961: 248)؛ ورابعا: أن يتّبع الإرثُ الخطَ الأمومي، أي ملكية الأم وسلالة نسبها (Stone, 1976, 32). وهو نظام يرى علماء الآثار والأنثروبولوجيا أنه ربما كان قائماً في عصور ما قبل التاريخ من العصور الحجرية، وهي التي كان أول من طرحها وربطها بالربة الأم باخوفن Bachofen في القرن التاسع عشر، والتي تبنّاها تشارلز إنجلز فيما بعد، وطورها وربطها بالمجتمعات الاشتراكية. وقد تمت المقاربة الإنثروبولوجية مع الدينية، بربط الوضع الاجتماعي للمرأة بمكانتها الدينية، فساد الاعتقادُ بأن المجتمعات القديمة والتي عرفت عبادة الربات سواء في بلاد الرافدين أو في سوريا أو الأناضول أو في كريتالتي حملت أسماء متعددة؛ فهي: عشتار البابلية، وأستراجاتيس السورية أو عشتروت الفينيقية، وجيا وريا أو سيبيل الإغريقية، وإيزيس المصرية إنما كانت مجتمعات تسود فيها المرأة. (انظر نقاش سيمون دو بوفوار لهذه النظرية في (De Beauvoir, 1949, 101.

لكن هذه النظرية لم تعد مقبولة؛ إذ يرى أنثروبولوجيون أنه لم يكن هناك أي مجتمع قائماً بهذه الصورة القطعية لسلطة الأم أو المرأة الكاملة في القبيلة أو الأسرة. وقاد هذا الرأي أبو علم الأنثروبولوجيا ليفي شتراوس في كتابه: مبادئ بناء القرابة The Elementary Structures of Kinship عام ١٩٤٩م، وصار هناك تمييز بين المفهومين، وتم قبول وجود نظام النسب الأمومي Matrilinearity أو Matrilineality الذي يتعايش فيه المجتمع مع فكرة انتساب الأبناء إلى أمهم.

وهناك نظرية أخرى تربط الانتساب الأمومي بالاعتقادات التي تتعلق بتقديس المرأة كمعبودة كبرى، أو في صورة الربة الأم. وعلى الرغم من تنازع الآراء بين علماء النفس والدراسات النسوية والكلاسيكية حول نظرية الربة الأم (De Beauvoir, 1949, 102; Whyte, 1978: 34, 156; Dostal, 1989, 47.)، فإن بعض الباحثين مثل مرلين ستون، ترى أن هناك علاقة سببية بين تقديس الربات ونظام الانتساب الأمومي، من جهة، وبين مكانة المرأة، من جهة أخرى[٧]، وهي علاقة تستحق التأمل واختبارها في المجتمعات القديمة، حيث مورست. وتقدم نصوص بلاد الرافدين صورة جليّة للربة الأم، ففي فترة الحضارة السومرية التي تؤرخ بالألف الثالثة ق.ح.م، تتضح صورة الربة الأم وتثبت؛ سواء في النصوص الدينية أم الأسطورية التي تفسر هوية كل معبود أو معبودة من الآلهة (Frymer-Kensky 1992: 5-6, 14-19). ومسؤولية الربة الأم حسب هذه المعتقدات، هي متابعة تطور الجنين في رحم الأم وحتى الولادة. وقد عرفت لديهم – أي السومريين – بأكثر من اسم: أرورو، نيمّه، نينتورونخورساغ Aruru, Nimah, Nintur, Ninhursag. وقد رُمز لأورور بشكل الأوميغا أو حرف الـ O التي تكتب في اليونانية بهذا الشكل(Ω) المماثلة لشكل الرحم مع قناة فالوب. والربة الأم هي أمّ كل الآلهة وخالقة البشر، وفق اعتقادهم، ومشكّلة الإنسان في رحم المرأة. أما «نينتور» فهي المعبودة التي تحدد لحظة الولادة وتتابع كامل عملية المخاض، وتقطع الحبل السري، وتجمع المشيمة، وتحدد مصير المولود (Frymer-Kensky49 :1992). ودوماً ما تقرن عقيدة هذه المعبودات باكتشافات قبورية لتماثيل صغيرة أو دمى فخارية figurines تصور المرأة بمبالغة في مناطق جسمها المرتبطة بالخصوبة

كالردفين والثديين. وقد عثر على هذه الدمى بكثرة في كريت، ثم تتابعت في العديد من الحضارات القديمة؛ ولكن أرجح النظريات ترى أن هذه الدمى لا تمثل الربات أنفسهن، وإنما تستخدم كأدوات في طقوس الخصوبة (Pomeroy 1975: 14). وقد عرفت هذه الدمى الطينية بكثرة في مناطق أخرى من العالم القديم لغربي آسيا وأوروبا، ويرجع أقدمها إلى العصر الجليدي في أوروبا (٢٠،٠٠٠ سنة مضت)، وأفضل نوع حفظ هو الذي عثر عليه في النمسا (Russell, P., 1998, 261)، وبعضها في الأناضول (اللوحة ٥). ونرى أن هناك نموذجين لصورة الربة الأم؛ صورة ربة أم الأناضول التي تمثل الأمومة في خصوبتها المادية، في صورة الجسد الخصب الممتلئ والمرتوي، بينما تمثل عشتار العارية النموذج الآخر لصورة الربة الأم، وهنا تمثل الخصوبة ولكن في صورة المرأة المثيرة.

والسؤال الرئيس هنا، هو: هل تبع الحسائيون النظام الأمومي؟ لكن قبل المضي قدماً سوف أنتقل إلى الجزء الثاني من مقارنة موضوع الأمومة، وهي مكانتها لدى الأنباط، وأبدأ من النقوش النبطية.

## الإشارات الأمومية النبطية

تحمل النقوش النبطية الكثير من الإشارات للنسب الأمومي، وقد سبق أن تناولتُها في دراسات سابقة حول المرأة النبطية، وملكات الأنباط والحضانة والانتساب، لكن من المفيد التذكير ببعض الملامح لاستكمال عنصر المقارنة التي يمكن أن تبيّن صورة المجتمع الحسائي/الجرهائي.

فبالنسبة للنقوش، لدينا عدد من النقوش القصيرة وواحد طويل وتفصيلي، وهو نقش كمكم بنتحرمو، بنت وائلة الحجرية، نسبة إلى الحجر. لكن قبل أن أتناول هذا النقش، ينبغي الإشارة إلى أن هناك عدداً كبيراً من الإشارات الأمومية في البيت الملكي النبطي مثل حارثة بن هاجر بنت حارثة (CIS, II, 354) وقاسم بن سعيدة بنت مالك بن حارثة (RES 1424). وهنا الحديث عن حارثة الملك النبطي، حارثة الرابع (٩ ق.ح.م-٤٠ ح.م). وهذان النموذجان يرجّحان أنها نتاج زواج الأميرات من خارج البيت الملكي، فينسب أبناؤهم إلى الأم.

كما تمت ملاحظة أن الإشارات الأمومية الأخرى تأتي من النقوش الضريحية التي تعلو مقابر الحجر، والتي تمثل طبقة النخبة أو الطبقة العليا فيها، الذين نتبين أسماء أمهاتهن/م من مجمع الأسماء النبطية، مثل: غانم بن جزيئة (عنمو بر جزيئت) (JS 24: ٣٦ ح.م)، محمية بنت وائلة (محميت برت وئيلت) (JS 14: ٥٨ ح.م)، عبد عبادة بن مليكة (عبدعبدت بر مليكت) (JS 34: ٧١ ح.م)، عمرة بنت كمولة (عمرت برت كمولت) (JS 35: ٧٤ ح.م)، وتيم إلهي بن حميلة (JS 27)، كذلك هناك حارسة بنت سعيدة (حرشو برت سعودت) (CIS, II, 786) من وادي مكتب بسيناء.

ثم يأتي مثال السيدة الحجرية كمكم، التي يمتد نسبها الأمومي حتى جدتها: كمكم بنت وائلة بنت حرام. أو إن بدأنا بابنتها المذكورة، والتي إن نسبت نفسها إلى أمها، في النقش تتكون لدينا أربعة أجيال: كليبة بنت كمكم بنت وائلة بنت حرام (كليبت برت كمكم برت وألت برت حرمو) (JS 16: ١ق.ح.م-١ ح.م) (صورة لمقبرة كمكم، اللوحة ٦)،

**اللوحة ٥: ربة خصوبة، الألف الرابعة، دمية من التراكوتا، فترة حلف**، Ilse Seibert 1974.

لكن من غير الواضح ما إذا كان حرمو اسم رجل أم امرأة.

ووفق دراساتي السابقة في شأن الأمومية النبطية، فقد وجدت عدداً من الارتباطات بين الانتساب الأمومي في الأسرة المالكة، وفي الحجر وخرجت بعدد من النظريات التي دللت عليها من قبل. فالانتساب الأمومي لدى الأنباط في وجهة نظري يبدأ أو يظهر بتولي حارثة الرابع الحكم عن طريق إما أمه أو زوجته، ورفعه من شأن النسب الأمومي لهذا الغرض، لاسيما وأن وصوله إلى الحكم أتى بعد صراع طويل على السلطة ضد سيلايوس/سلي/صالح. (الفاسي، ٢٠٠٧).

وفي الحجر ارتبط الانتساب الأمومي بتطور الحياة الاقتصادية فيها، وغياب الرجال لفترات طويلة في رحلات تجارة البخور، وارتباط ذلك بدفع النساء إلى الاستقلالية الاجتماعية التي نشهدها في المقابر النسائية التي تخصصها صاحبات المدافن لذريتهن من البنات. (الفاسي، ٢٠٠٢).

وهكذا، فعندما نضع شرقي الجزيرة ومجتمعها في سياق الحالات الأخرى التي نعرفها للنسب الأمومي في الجزيرة العربية، وبخاصة ضمن السلالات الحاكمة في شمالي الجزيرة العربية، يمكن آنذاك أن نجادل بأن هذه النظام والقبول به والتعاطي معه قد امتد من الأسر المالكة إلى طبقة النخبة التي تنتمي إلى هذه الطبقة، ومنها على الأرجح الكاهنات.

وكما نرى تتفق الحالة النبطية والحسائية في تعاملها وتسامحها مع الانتساب الأمومي في ظل نظام أبوي غالب، وتتعدد الحالات التي يرد فيها هذا النوع من الانتساب، والذي كان واضحاً في الحالة النبطية باتصاله بطبقة النخبة في المجتمع ابتداء من الأسرة المالكة إلى طبقة التجار، فطبقة الكهنة على أرجح تقدير. وما يفرق بين الحالتين توافر تفاصيل نبطية لا تتوافر لدى الحسائيين في الوقت الحالي؛ كالتقاليد الدينية والاجتماعية والتاريخ السياسي والاقتصادي؛ ومن الجانب الحسائي نجد أن ثراء تنقيباتها بالدمى الصلصالية /التراكوتا تعد فارقاً رئيساً عن الحالة النبطية التي لا نجد تمثيلات من هذا النوع بهذه الكمية التي نجدها في ثاج وأطرافها بل وفي بقية مناطق

**اللوحة ٦: مقبرة كمكم بنت وائلة بنت حرمو الحجرية (من لوحات د.جون هيلي).**

الجزيرة العربية.

فإلى ماذا تقودنا نقوش الانتساب الأمومي؟

## هوية نساء نقوش النسب الأمومي

إن عملية البحث عن هوية النساء اللاتي تركن هذه النقوش القبورية وقت وفاتهن، واللاتي سُجلت أسماؤهن منتسبة لأمهاتهن إلى ثالثة جدة، لأمر تحفه الكثير من المصاعب، في ظل غياب سجلات أخرى مكتوبة؛ ما يترك الباب مفتوحاً للكثير من التساؤلات والتكهنات حول هويتهن وسبب اختلافهن عن النساء الأخريات ،اللاتي عثرنا على شواهد قبورهن، واللاتي ينتسبن أبوياً.

مبدئياً، هناك إجماع واضح حول أبوية مجتمع الخليج

والجزيرة العربية، سواء المجتمع الثاجي أو النبطي، آنذاك؛ لكن ما هو الظرف المختلف الذي سمح بظهور عدد من السيدات والرجال ممن يحملن ويحملون النسب الأمومي الممتد إلى ثالث أو رابع جدة؟ ما هي طبيعة هذه الأسر أو القبائل؟ هل تنحصر هذه النسبة في أسر بعينها، أو قبائل بعينها، أو مناطق بعينها؟ هل تختلف شواهد قبورهن عن الآخرين، أو مقابرهن عن الآخرين؟ مَن هن هؤلاء النسوة؟ وهل لهن صلة بنساء عربيات أخريات يلتزمن هذا النظام الأسري؟ الأسئلة كثيرة، والإجابة تقوم على احتمالات نقوم على دعمها بالدليل المتوافر.

وما يثير صعوبة في البحث في هوية هؤلاء النساء أن النسبة للأم على الرغم من شيوعها لدى قبائل العرب وكثرة ورودها في صفحات كتب الأدب والتاريخ والأنساب، إلا أننا لا نجد النسب يستمر أمومياً لأكثر من جيل واحد. فلدينا أمثلة على قبائل منسوبة إلى أمهات: فهذه قبيلة «تجيب» تنسب إلى امرأة وهي ابنة ثوبان بن سليم بن رها بن مذحج نسب إليها ولدها عفير بن عدي بن الحارث بن مرة وبنو حنيفة، إذ أن حنيفة امرأة نسب إليها ولدها، وهي حنيفة بنت كاهل بن أسد بن ربيعة بن نزار (الإنباه على قبائل الرواة ج:١ ص:٨٧). أو أبو الغول الطهوي منسوب إلى طهية وهي بنت عبدشمس بن سعد بن زيد مناة وهي أم قبيلة من العرب نسب إليها هذا الشاعر (ديوان الحماسة ج:١ ص: ٧).

ولدينا مَن يُنسب إلى أمه مع معرفة العرب باسم أبيه، مثل «أُبَيّ بن سلول» المنافق الخزرجي اليثربي، وسلول أم أُبَيّ، وهي خزاعية، نسب إليها وأبوه مالك بن الحارث أحد بني الخزرج (فتوح البلدان ج:١ ص:١٠٢)؛ والصحابي المخضرم «بشير بن الخصاصية السدوسي» فهو بشير بن معبد بن شراحيل بن سبع بن ضبارى بن سدوس، والخصاصية امرأة نسب إليها، واسمها كبشة، ويقال ماوية بنت عمرو بن الحارث من الغطاريف من الأزد (تاريخ بغداد ج:١ ص:١٩٤)؛ والصحابي: «معاذ بن عفراء»، فينسب إلى أمه، وأبوه هو الحارث بن رفاعة (المنتظم ج:٥ ص:٧٣)؛ ومن تابعي علماء المدينة: سعيد بن مرجانة أبو عثمان، ومرجانة أمه، واسم أبيه عبدالله القرشي العامري (السخاوي، ج:١ ص:٤٠٥)

والأمثلة كثيرة، وكلها كما نرى لا ترتفع بالنسب أمومياً وإنما يتحول أبوياً ولكن من جهة الأم. وقد فصل روبرت سميث في هذا الأمر في كتابه «القرابة والزواج في الجزيرة العربية المبكرة»، الذي نشر في بداية القرن الماضي (Smith, 1903)، مرجحاً وجود تقليد أمومي مغرق في القدم، وهذا ليس موضوعنا هنا.

وتعكس القصائد والأساطير السومرية تفاصيل هذا الطقس من الزواج الديني الذي ترافقه احتفالات وولائم لعدة أيام في أنحاء المدينة، وذروة الاحتفال تكون في زف الملك الذي يتمثّل في شخصية الإله المعبود إلى معبد إناناحيث تمثل الربة إنانا كاهنتها، وسط شعائر معقدة تعكس رمزية الطقس لاستئناف الحياة والخلق وتجديد دورتهما وتسترسل القصائد في ذكر تفاصيلها. وقد استمرت هذه العادة مئات السنين، من خلال استمرار القصائد التي كتبتها الشاعرة الأكدية إينوخيدوانا Enḫeduanna، ابنة سرجون الأكدي، أول كاهنة ملكية تعين كاهنة عليا أو كبرى، واختصت بإلهة القمر، الربة «نانا»، كما كانت أول شاعرة يصلنا شعرها وأدبها، وقد استمر الرجوع لقصائدها وأناشيد أخرى تعزز هذه المعاني لأكثر من خمسمائة عام على الأقل. واستمر الطقس الملكي الكهنوتي يتكرر في صورة أعياد الربيع، مع الاعتقاد بضرورته لبدء الدورة الزراعية وضمان خصوبة الطبيعة والتكاثر الطبيعي، بل والإنساني، في بلد يعتمد أوده على الزراعة وما تجود به الأرض على سكانها. وتفصّل أستاذة المسماريات تيكفافرايمر- كينسكي في هذا الموضوع، وتأتي بالأدلة على استمرار تقديم الملوك تقدمات أو مهور الزواج إلى معبد إنانا، والذي يدل على عقد الزواج المقدس المذكور عبر مئات السنين (Frymer-Kinsky, 1992: 12, 64, 95ff.).

ونرى أن هناك ما يدعو للاعتقاد بأن هذا الطقس كان قد أصبح مستقراً في ذهنية سكان بلاد الرافدين وشرقي الجزيرة العربية وعقيدتهم، لاسيما مناطق دلمون القديمة التي كان اتصالها الديني والأسطوري فضلاً عن السياسي والاقتصادي ببلاد الرافدين معروفاً، وتردد الأساطير السومرية صداه، والتي كانت تقدس أرض دلمون وتعدها جنة عدن على الأرض، حيث الخلود والسلام والتعايش،

وحيث لا يشيخ الإنسان ولا يحزن ولا ينوح، وحيث تعيش كل الحيوانات المفترسة بسلام مع الأخرى، وحيث الماء العذب لا ينضب، والخصب والوفرة تعم أرض دلمون (أسطورة إنكيوننخورساغ، وأسطورة الطوفان، وأسطورة إنكي ونظام الكون) (Kramer, 82-6; Pritchard I: 30). فكيف كان السومريون، ومن بعدهم الأكاديون والبابليون، يتعاملون مع ناتج هذا الزواج المقدس من أبناء أو بنات؟ ليس واضحاً، لكن من الأرجح أنهم وأنهن كانوا يوهبون للمعبد ولخدمته والقيام عليه. ومن هنا، يبدو الأقرب إلى التوقع أن يطلق على الأبناء اسم أمهن/م أو اسم إنانا أو دموز. وعلى الأرجح أن زواجاً كهذا، إن اعتبرنا أنه مورس أو كان يمارس بين ملك هجر/ثاج وكاهنة ربة الخصوبة التي إما أنها كانت اللات أو مناة، لا بد أنه اتخذ شكلاً محلياً في عاداته الاجتماعية والتي منها ضرورة الانتساب والارتباط بقبيلة وعشيرة. وهكذا نرى أن استمرار هذه السلالة من الأمهات تُتبع بالطريقة العربية المحلية، والتي غالباً ما كانت مثار فخر للقبيلة باعتبار أنها مَن تخدم الربة التي تجلب الرزق والخير لمدينتهم.

وربما سوف يكون من المفيد أن تظهر معلومات جديدة حول معتقدات سكان بلاد الرافدين في فترة القرون الأولى من الحقبة المعاصرة، والتي يمكنها أن تعزز أو تضعف هذه النظرية. لكن بلا شك أننا أمام ظاهرة ليست قابلة للمرور عليها دون توقف، وتوقف طويل أيضاً.

إن تطبيق هذه الحالة على هوية النساء في النقوش الحسائية الثلاثة تقدم التفسير المثالي والمرجّح لمرجعيتهن، التي على الأرجح أنها كانت كهنوتية خاصة بمعبودة الخصوبة الهجرية/الثاجية/ الجرهائية اللات أو مناة. ويعزز هذه النظرية ارتباط حضارة ثاج وثقافتها الدينية بالعدد الكبير الملاحظ من الدمى الأنثوية التي تبرز فيها علامات الخصوبة، والتي من المرجّح أنها كانت ترمز لربة الخصوبة والنماء، للربة الأم. وتبدو الربات أكثر حضوراً في ثاج من الأرباب، لاسيما في أسماء الأعلام والنقوش الخمسين التي كان تركيبها الوحيد هو مع الربات سواء كانت اللات أو مناة تحت اسم «أمة هن اللات»، أو أوس هن اللات»، أو «تيم منتا»، مع استثناء «تنين»، الذي يُعتقد أنه قد يكون «الهولة» (قزدر وآخرون ١٩٨٣، ص ٩٦-٩٧). واللات ومناة هما الربتان المعبودتان كذلك لدى الأنباط. مع التركيز على أن مناة كانت المعبودة الرئيسة في الحجر، بينما اللات كانت المعبودة الرئيسة في بصرى ووادي رم. ويرد في النقوش الحسائية اسمان آخران مضافين إلى كاهنين أحدهما كان كاهن (أفكل) «يبس» والثاني كاهن «عطف»، وغير واضح ما إذا كانت هذه أسماء معبودات أم أماكن (قزدر وآخرون ١٩٨٣، ص ١٠٤).

## التحديات

الإشكالية في هذه المجادلة تأتي على أكثر من مستوى، فنحن لم نجد بين كاهنات الجزيرة العربية مَن تنتسب أمومياً من خلال المصادر الإسلامية المبكرة؛ وفي المقابل فإن مَن انتسب أمومياً لم يبدُ أنه حمل نسباً أمومياً يتعدى أمه، فحسب؛ فلا نجد تعددا في الأجيال الأمومية. ولا نجد في كاهنات بلاد الرافدين القريبين تاريخياً حالات مشابهة؛ فعلى سبيل المثال، نجد أن كاهنة الحضر/الحظر/حطرا «مرتبو» كاهنة «أشربل»، الربة البتول/اللات، متزوجة من «بدا» الكاهن (نقش مؤرخ بالعام ٢٣٥ ح.م)، (الجبر، ٢٠٠٩، ٨٦، ١٢٩).

وهناك تحدٍ آخر يأتي من النقوش الحسائية ذاتها التي حملت في بعضها إشارة إلى كهنة بمسمى «أفكل»، ولكنها كانت لكهنة ذكور (نقش ٢، قزدر وآخرون، ١٩٨٣، ص ٨٩)، ونقش ١ من الوركاء (قزدر وآخرون، ١٩٨٣، ص ٩١).

ومن المثير للتساؤل، ألا تحمل أسماء هؤلاء النسوة بطبقاتهن الثلاث أي تركيبة مع اسم إله أو إلهة كما نجده في بعض الأسماء الحسائية. على سبيل المثال، تتكرر الأسماء المركبة من الربات اللات ومناة وغيرهما، بل إن امرأة حملت اسماً مثيراً للتوقف هو «أمة هن اللات بنت حون بن تيم مناة، من آل جبسي من قبيلة هدان» (نقش ١٣، من نقوش ثاج، قزدر وآخرون، ١٩٨٣، ص ٩٠) إذ ينسب اسمها للات واسم جدها لمناة.

والخلاصة، أنه كما أن «كمكم بنت حرمو بنت وائلة» كانت كاهنة الحجر أمّاً عن جدة، كذلك أرى أن «غذبة بنت ملكت بنت شبم بنت أحذت» و«كرلي بنت جرت

بنت؟؟» كانتا كاهنتين في ثاج لربة الخصوبة والأمومة اللات أو مناة. تحتل منصب الكاهنة الكبرى التي تعيد كل عام سيرة ربة الخصوبة في اتحاد/ زواج مقدس مع ملك هجر ممثل معبود ثاج وما حولها ليدوم الخير والنماء على ثاج وأهلها.

وبانتظار المزيد من نتائج التنقيبات الأثرية والتحليلات اللغوية ليجلو غموض هذه النقوش والنظام الاجتماعي والديني في شرقي الجزيرة العربية.

**د. هتون أجواد الفاسي: قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، الرياض.**

## الهوامش:

١ لتفاصيل الاسم وأسمائه المختلفة، انظر البكر، منذر عبدالكريم، دولة ميسان العربية، المورد، ١٩٨٦، مجلد ٥١، عدد ٣: ١٩-٢١

٢ الذي اكتشف منذ عام ١٩٨٨ (الهاجري وآخرون ١٩٨٩: ٣٥-٥٠)، وبعد عشرين عاماً يعود الاهتمام بها وتخصص بعثة أثرية للتنقيب بها منذ عام ٢٠٠٨، ويُربط في نتائجها البحثية مع الجرهاء. وهي تقع شمال مدينة الجبيل و٩٠ كم فقط إلى الشرق من مدينة ثاج، ما يرجحها لدور فرع الجرهاء الساحلي، ولأن تكون ثاج فرعها الداخلي.

٣ تُذكر عُمان باسم ماكاي لدى بليني، Pliny VI.26.98

٤ بمبلغ خمسمائة تالنت من الفضة وألف تالنت من اللبان ومائتي تالنت من دهن المر. فتركهم عندها وأبحر إلى جزيرة تيلوس ومنها إلى سلوقيا، Polybius, (d. after 118 BCE), The Histories of Polybius, 1922 -1927, LCL, London XIII: ii. 4,5

٥ المواقع الأخرى أقل أهمية لصغرها مقارنة بثاج، مثل: تاروت التي تعد مدينة مدافن، وتلها عبارة عن مجموعة مدافن. وعدد من الجرار الجنائزية التي تحمل عظام موتى. عثر فيها على شاهد قبر مكتوب باليونانية (الوحيد حتى الآن مع جزء الأمفورا الرودسية) يقول: «حبيب إيل نومات، تحية» (Potts 51-52). ونلاحظ أن النقش اليوناني يحمل اسماً عربياً. لكن من غير الواضح سبب استخدامه لليونانية للكتابة وهو في بيئة عربية.

٦ وفق محادثة مع د.حميد المزروع، المشرف على الطالبة، في ٢٠١٣/٥/١٤

٧ Stone, 1976, 30-61, esp. 58-60، من هذه العلاقة بين الربة والمرأة فإن دليلاً نما إلى علمنا بالعلاقة بين الوظائف التي تحتكرها الكاهنات بدعوى أنهن موجهات من قبل الآلهة كالتطبيب وطقوس الطبابة والاعتقاد في آلهة مختصة بالعلاج والشفاء (Ochshorn, J., «Goddesses and the Lives of Women», Women and Goddess Traditions in Antiquity and Today, (ed. K.L.King), (Minneapolis: Fortress Press. 1997), pp. 377-405, p. 385). وبالنسبة للنساء العربيات المعالجات فإن جوزيفوس يذكرهن كاتباً: «يقولون بأن «فيروراس» قد تناول العشاء مع زوجته في اليوم السابق لسقوطه مريضاً، وأنه أكل من دواء قدم له في طعام لم يكن معتاداً عليه ومات بسببه. وهذا الدواء كانت قد جلبته امرأة من العربية (بلاد العرب) بصفة خاصة لتحفيز قدراته الجنسية، ويقال له شراب الحب، ولكنه في الواقع كان لقتله. الآن، نساء بلاد العرب هن الأكثر مهارة في استخدام هذه الأدوية والمستحضرات، والمرأة المتهمة بقتل فيروراس اتضح أنها صديقة قريبة من عشيقة سيلايوس. ولإقناعها حتى تبيع لهما هذا المستحضر قامت أم وأخت زوجة فيروراس بالذهاب إلى منطقتها وعادوا بها معهما في اليوم السابق للعشاء Josephus, [d. 93 CE], Jewish Antiquities, (Tr. R.Marcus), (London, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1943), 9 vols. XVII: p. 61-63.

## المراجع:

### أولاً: المراجع العربية


ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٣٥٨، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٠ج، المطبوع ٦ج.

ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ٦ ج.

أسكوبي، خالد، أبو العلا، سيد رشاد، ١٩٨٥، «حفرية ثاج، الموسم الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م»، **أطلال** ٩، ٣٧-٥٤، لوحات ٣٠-٤٩.

البدر، سليمان سعدون، ١٩٧٤، **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد**، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

البدر، سليمان سعدون، ١٩٧٨، **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد**، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

البكر، منذر عبدالكريم،١٩٨٦دولة ميسان العربية، **المورد**، مجلد ٥١، عدد ٣: ١٩-٢١.

البلاذري، أحمد بن يحي (ت ٢٧٩ هـ)، ١٩٥٩، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة.

بن صراي، حمد، ١٩٩٤، «السكان القدماء لشبه جزيرة عُمان»، **شؤون اجتماعية**، ٤٣: ٥٣-٦٧.

التبريزي، يحي بن علي، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، دار القلم، بيروت.

الجبر، عثمان مصطفى، ٢٠٠٩، **مملكة الحظر، دراسة في الفكر الديني**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الحشاش، عبدالحميد، السيف، تركي، الحمادي، منصور، التركي، شاكر، حبرم، عبدالرحيم، الحويجي، سعيد، الحربي، مساعد، والرشيدي، فايد، ٢٠٠٥، «تقرير حفرية ثاج الموسم ١٤٢١/٢٠٠١»، **أطلال** ١٨: ٣٥-٥٤، لوحات: ١،٢-٢،٢٠

الزهراني، عوض علي، ١٤١٦، ثاج، دراسة أثرية ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، (ت ٩٠٢)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**،٣ ج.

ظاظا، حسن، ١٩٨٤، «المجتمع العربي القديم من خلال اللغة»، في الجزيرة العربية قبل الإسلام، **ندوة الجزيرة العربية**، الجزء الثاني، تحرير: عبدالرحمن الطيب الأنصاري، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ٢: ١٧٧-١٨٦

الفاسي، هتون أجواد، ٢٠٠٢، «الحضانة ونظام الانتساب في الحجر-مدائن صالح»، في **مداولات جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية**، ٤، دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، ٩-٤٢.

الفاسي، هتون أجواد، ٢٠٠٥، «الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في جزيرة العرب»، في **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، المجلد الأول: الجذور والبدايات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٤٥٢-٤٨٥.

## ثانياً: المراجع غير العربية

"Preliminary survey in east Arabia 1968, Reports of the Danish archaeological expedition to the Arabian Gulf", Vol 2. **Jutland Archeological society publications** vol XII, in commission at Gyldendal, Copenhagen.

Boucharlat, R., and J. F. Salles, 1981, "The History and Archaeology of the Gulf from the Fifth Century BC to the Seventh Century AD: A Review of the Evidence", **Seminar for Arabian Studies 2**, 65-94.

Cornwall, P.B., 1946, "Ancient Arabia: Explorations in Hasa 1940-41', Geographical Journal 107.

Dostal, W., 1989, «The transition from Cognatic to Unilinear Descent Systems in South Arabia», Kinship, Social Change, and Evolution, **Proceedings of a Symposium held in Honour of Walter Dostal**, (eds. A. Gingrich, S. Haas & G. Paleczek), (Vienna Contributions to Ethnology and Anthropology. Vol. 5), (Vienna: Verlag

الفاسي، هتون أجواد، ٢٠٠٧، «ملكات الأنباط: دراسة تحليلية مقارنة»، أدوماتو، ١٦: ٢١-٤٠.

القرطبي، يوسف بن عبدالله النمري (ت ٤٦٣ هـ). **الإنباه على قبائل الرواة**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥.

قزدر، محمد صالح، بوتس، دانيل ت.، ليفجستون، أليستر، ١٩٨٤، «تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الأول لحفرية ثاج ١٤٠٣-١٩٨٣، وملحق النقوش الحسائية: لغتها وقبائلها وأسماؤها الشخصية» **أطلال** ٨: ٥٥-١٠٨، لوحات ٦٠-٩٠.

المزروع، حميد إبراهيم، ١٩٩٣، «دراسة تصنيفية مقارنة لمجموعة غير منشورة من الدمى الجنوبية»، **العصور** ٢/٨، ٢٨-٣١٠

معراج، محمد رضا إبراهيم حسن، ٢٠٠٧، «وظيفة التماثيل في فترة تايلوس»، **مداولات اللقاء العلمي الثامن جمعية التاريخ والآثار**، بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ٤٥-٩٤.

**موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية**، ١٤٢٤، دارة الملك عبدالعزيز، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ٦ أجزاء.

الهاجري، محمود يوسف، آل سيف، زكي عبدالله، ١٩٨٩، «تقرير مبدئي عن حفري الدفي، الموسم الأول ١٤٠٨هـ»، **أطلال** ١٢، ٣٥-٥٠، لوحات ٢٣-٣٢.

هاشم، سيد أنيس، ١٩٩٢/١٤١٢، **الأشكال الفنية الفخارية في ثاج**، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض.

ياقوت، أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ هـ). **معجم البلدان**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٥ج.

Al-Ansari, A. R., 2002. Al-Gerrha, the port of «Qaryat» al-Fau, in JSS Supplement 14, Studies on Arabia. In: **Honor of Professor G. Rex Smith**, (ed. J. F.Healey and V. Porter), Oxford University Press on behalf of the University of Manchester, pp. 7-17.

Al-Fassi, H.A.,2007, "Women in Pre-Islamic Arabia", **British Archaeological Reports** (BAR), Archaeopress, Oxford.

Al-Fassi, H.A., 2012, "Kamkam the Nabataean Priestess: Priesthood and Society in Ancient Arabia", **Ugarit to Nabataea: Studies in Honor of John F. Healey**, Gorgias Press, USA

Beeston, A. F. L., 1979, "The Hasaean tombstone J 1052", **JANES11**, 17-18.

Bibby, T.G. (with one chapter by H. Kapel), 1973,

Ferdinand Berger &Söhne), pp. 47-62

Groom, N. St. J., 1982. "Gerrha, A ‹Lost› Arabian City", **Atlal**, 6: 97-108, Pl.98-99.

Groom, N. St.J., Gerrha, 1982. A "Lost' Arabian City", **Atlal** 6: 97-108, pl.98-99.

H.R.P. and V. Dickson, 1948. "Thaj and Other sites", **Iraq** X, pl.11/2.

Jamme, A., 1966. "sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia", **StudiSemitiei** 23, 65-82, pl. XV-XX

Jamme, A., 1967. "New Hasaean and Sabaean Inscriptions from Saudi Arabia', **OriensAntiquusVI**, 181-187

Jamme, A., 1969. "New Safaitic and HasawanInscriptiosn from Northern Arabia", **Sumer**, XXV, 141-152..

Jamme, A., 1970. "The Pre-Islamic Inscriptiosn of the Riyadh Museum", **Oriens Antiquus**, IX, 115-139.

Kramer, Samuel Noah, [1944] 2007. **Sumerian Mythology: A study of Spiritual and literary achievement in the Third Millenium BC**, Forgotten books.

Kramer, Samuel Noah, [1963] 1971. **The Sumerians: Their History, Culture and Character,** University of Chicago Press, Chicago.

Lombard, P., 1988. "The Salt Mine Site and the Hasaean Period of Northeastern Arabia". In: **Araby the Blest, D.T.** Potts (ed.), Copenhagen, CarstenNeibuhr Institute of Ancient Near Eastern Studies, University of Kopenhagen, 117-136.

Maciver, R.M. & Page, C.H 1961. **Society, An Introductory Analysis**, Macmillan & Co, London.

Mandaville, J.P., 1963. 'Thaj: A Pre-Islamic Site in Northeastern Arabia', **BASOR**, 172, 9-20.

Muller, W.W., 1963. "Inscriptions Sud-arabes-Inscriptions de Thajdans le Hasa 687-688", **Museon** 76, 419-423.

Ochshorn, J., 1997. «Goddesses and the Lives of Women», **Women and Goddess Traditions in Antiquity and Today,** (ed. K. L. King), Minneapolis, Fortress Press.

Polybius, (d. after 118 BCE), 1922 -1927. **The Histories of Polybius**, LCL, London.

Pomeroy, S.B [1975] 1994. **Goddesses, Whores, Wives & Slaves, Women in Classical Antiquity**, Pimlico, London.

Potts, D. T 1992. **The Arabian Gulf in Antiquity: From Alexander the Great to the Coming of Islam** 2 Vol, Clarendon Press, Oxford.

Potts, D.T, 1986. "Eastern Arabia and the Oman Peninsula during the Late Fourth and Early Third Millennium B.C.". In: **Gamdat Nasr Period or Regional Style?** eds. Uwe Finkbeiner & Wolfgang Röllig, Beihefterzum Tübingen Atlas des Vorderen Orients, Reihe B (Geisteswissenschaften) Nr. 62, Viesbaden, pp.121-170

Pritchard, J.B., **Ancient Near Eastern Texts: Related to the Old Testament**, 2nd ed., 1955. Princeton University Press, Princeton.

Ryckmans, J., A three generations' matrilineal genealogy in a Hasaean inscription: matrilineal ancestry in Pre-Islamic Arabia. In **Bahrain Through the Ages, the Archaeology**, (eds. H. Al-Khalifa & M. Rice), 1986. KPI, London, New York, Sydney, Henley, pp. 407-417.

Smith, W.R., 1903. **Kinship and Marriage in Early Arabia**, AMS Press, London.

Stone, M., 1976. **When God was a Woman**, Harvest Book, Harcourt Brace & Company, San Diego, New York, London.

Strabo [d. 24 CE] 1989. Geography, (tr. H.L. Jones), LCL, London, 8 vols.

T. Frymer-Kensky, 1992. **In The Wake of The Goddesses, Women, Culture, and the Biblical transformation of Pagan Myth**, New York, The Free Press.

Winnett, F.V., 1946. "A Himyaritic Inscription from the Persian gulf Region", **BASOR**, 102, 5-7.

Yaseen, G.T., M. M. El-Gamili & A. M. Shalan, 'Unpublished terracotta figurines in the Museum of the Archaeology Department , Sana'a University, Yemen», in Arabian archaeology and epigraphy, 7/2: 1996: 287-303